

دلالة بيانية في قوله تعالى (ويمكرون ويمكر الله)

(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ)

[سورة الأنفال 30]

بيان ناصع محكم مبين، عبر عن مكرهم فقال : ويمكرون. بصيغة الحدوث والتجدد بتجدد وسائل المكر وإمكاناته المتنوعة بتنوع الزمان والمكان، وغيبهم في المكر بالضمير دون الاسم الظاهر في المقال، إيهاء بخفاء المكر من جهة وضعفه من جهة أخرى كضعف الضمير أمام الاسم الظاهر في المقال إذ أبرز اسمه العظيم في إسناد المكر ومقابلته لمكرهم (ويمكر الله) ولم يقابل الإضممار بالإضممار فيقول: ويمكرون ونمكر، ثم كرر الاسم الظاهر دون الاكتفاء بإعادة الضمير عليه كما هو متوقع في هذا السياق فيكون: ويمكر الله وهو خير الماكرين؛ استحضارا لعظمته جل جلاله في إحداث الفعل وإسناده إليه، وإمعانا في طمأنة نفوس المؤمنين، وإشاعة عظمة هذا المكر الصادر منه بموجب ألوهيته للكون؛ فيحرك كل الكون لمكره في ملكوته بموجب جبروته وعظمته فانظر أين مكرهم من مكر الله!

ثم زاد في دقة التعبير وتأكيد به بأن قابل مكرهم الحادث المتجدد الضعيف المكشوف له الذي ليس فيه خفاء بمكره المتجدد بالجملة الفعلية، كلما تجدد منهم مكر قابله بمكره العظيم، ثم انتقل التعبير على سبيل التأكيد والاحتراس، بوصف مكره بصفة الخيرية على سبيل الثبات والديمومة إذ قال : والله خير الماكرين.

وهل إبطال مكر شياطين الإنس والجن بمكر الله إلا خير كله فالمكر بمكر الشر خير كله، بل هو أبرز مظاهر الخيرية وأعظم صفاته العلية بموجب ألوهيته في إقامة العدل في ملكوته والانتقام من أباطرة المكر الظالمين، وإذا كان المكر هو الفعل بخفاء، فأى مكر في ملكه وخلقه يخفى عليه سبحانه وتعالى!

ثم إنه جل جلاله بعظمته وقدرته قد تولى بنفسه رد مكرهم بمكره العظيم الذي يفعل له الكون كله فيغدو مكرهم نفسه في الفعل والأداة مكر عليهم وهذا لا يكون إلا في قدرة الله وحده جل في علاه.